

الدرس الإيراني وسياسة حافة الهاوية



ترسخت في خطابهم السياسي مفادها أن دولة الولي الفقيه صارت تمتد من البحر المتوسط حتى البحر الأحمر. ذلك ما يتناسب مع الغرور الفارسي التقليدي الذي تم إشباعه عن طريق صمت دولي استمر لسنوات.

لقد لعب الاتفاق النووي الذي ضغطه الرئيس الأميركي باراك أوباما من أجل إنجازه الدور الأكبر في دفع إيران إلى حافة الهاوية. حصلت إيران على أموال هائلة لقاء توقيعها على الاتفاق الذي لم يكن خامنئي راغباً في التوقيع عليه. وكما كان متوقفاً فقد استعملت إيران تلك الأموال وأموالاً مضافة في توسيع مشاريع التسلح وهنا كان مقلتها. وليس بعيداً عن منطق المؤامرة أن الغرب ترك إيران سائرة في غيها كما يقال، بل إنه سمح لها بالتوسع والهيمنة على دول عربية لكي تشعّر بقيمة ما فعلته على مستوى التسلح وبهامية أن تستمر في تطوير برامج تسليحها وصولاً إلى النقطة التي لا يمكن للعالم أن يعترض على ما فعله. طبعاً لم يشعر الإيرانيون أنهم يرتكبون الخطأ الذي ارتكبه الاتحاد السوفيتي من قبل حيث ترك يهرول وحده لاهناً إلى أن سقط. لم تسمح فكرتهم عن حربهم ضد العالم وحرب العالم المتوقعة عليهم لهم بلحظة تأمل لمراجعة مسارهم السياسي الذي لو تمكنوا من تصحيحه لما احتاجوا إلى ذلك العناء ولما انفقوا أموالهم عبثاً في مجال سيظل الغرب متوفقاً عليهم فيه. لم يكن الإيرانيون مضطرين إلى إقامة منشآتهم النووية ومصانع الصواريخ الباليستية لو أنهم أعادوا النظر في سياساتهم الخارجية

فاروق يوسف
كاتب عراقي

في أيام معدودات تم تدمير ما قضت إيران سنوات طويلة في إنشائه وانفقت عليه أموالاً طائلة، لو أنها لا تزال موجودة لما وصل التومان الإيراني إلى وضعه الرث الحالي ولغزت إيران باستثماراتها المالية العالم ولكن لها موقع محترم بين الدول التي تساهم في تدعيم الاقتصاد العالمي.

غير أن العقليّة المهووسة بالتسلح جرباً وراء شعاعات استعمارية باطلة في مقدمتها يقف شعار تصدير الثورة الذي ينطوي على مطامع في التوسع على حساب الدول المجاورة وتهديد أمنها واستقرارها فتحت شهية الإيرانيين على تطوير برامج التسلح تحقيقاً لرغبتهم في الدفاع عما ظنوه حقاً تاريخياً يتمثل في استعادة الإمبراطورية الفارسية.

كان ذلك النهج منسجماً مع ما اعتبره نظام آيات الله واجباً دينياً يملئ عليهم حق الوصاية على الشيعة العالم العربي عن طريق احتلال الدول التي ساعدتهم الظرف التاريخي على التمدد في أراضيها وصولاً إلى قنطرة



والتفتوا إلى الداخل الإيراني الذي ترك مهملًا يعيث به الفقهاء والحرس الثوري الذي استولى على الجزء الأكبر من البازار الذي يرمز وجوده المستقل إلى روح الشخصية الإيرانية. وتلك جريمة سيدفع ثمنها النظام الإيراني بعد حين من خلال انهيار سعر صرف العملة وتزايد عدد العاطلين عن العمل. مقابل كل خطوة جديدة في مشاريع التسلح كان هناك شيء

اللحظة الحاسمة التي يجب فيها الانقضاض على مشاريع التسلح الإيرانية بمختلف أنواعها. لقد انتهت اللعبة مع انهيار الاقتصاد الإيراني. بالنسبة لرعاة المشروع الإيراني الجهوليين فإن ذلك المشروع قد حقق الأغراض المطلوبة منه وصار محوه من الخريطة السياسية أمراً ضرورياً لذلك صار لزاماً أن يتم التخلص من المنشآت النووية ومصانع الصواريخ

أساس في الحياة الإيرانية ينهدم. ولم يكن ذلك مصدر إزعاج لمخططي السياسة في إيران. ذلك لأنه لا يدخل في حساباتهم (الاستراتيجية) التي ظنوا أنها ستصمد ما دامت مصانعهم قادرة على إنتاج الصواريخ الباليستية وسواها من الأسلحة. وكما يبدو أن صانعي القرار في الولايات المتحدة قد وصلوا إلى

الفرصة الحاسمة التي يجب فيها الانقضاض على مشاريع التسلح الإيرانية بمختلف أنواعها. لقد انتهت اللعبة مع انهيار الاقتصاد الإيراني. بالنسبة لرعاة المشروع الإيراني الجهوليين فإن ذلك المشروع قد حقق الأغراض المطلوبة منه وصار محوه من الخريطة السياسية أمراً ضرورياً لذلك صار لزاماً أن يتم التخلص من المنشآت النووية ومصانع الصواريخ

الباليستية وكل ما يتبعها من معامل في مختلف أنحاء إيران. لن تستعيد إيران قدرتها على التسلح بعد أن تقطعت السبل بين مصانع تسليحها. إنها اليوم دولة عاجزة عسكرياً. ما يمتلكه الحرس الثوري من سلاح قد لا يكفي ليوم واحد من حرب ستسحقها. لقد وصلت إيران إلى حافة الهاوية ولم يعد أمامها سوى الاستسلام.

الفشل ينتظر ظريف في بغداد

جذرية تكون سبباً في حرمان إيران من نفوذها في العراق، من خلال التلويح له بسحب الثقة منه عن طريق مجلس النواب، وفي الوقت نفسه، إقناع، أو بالأحرى إجبار، الكاظمي على إشراك رموز تمثل النفوذ الإيراني الفعلية للمشاركة ضمن الوفد العراقي في لقاء الحوار الاستراتيجي لأن النظام الإيراني غير مطمئن للكاظمي وليست له الثقة به بما قد يقدم من تنازلات لا تخدم أجندته، ومن ضمنها استمرار بقاء القوات الأمريكية.

الواقع، أن نظام الولي الفقيه الإيراني بات يشعر أن عملية تحجيمه قد بدأت حيث يسعى الأميركيون إلى إعادته إلى حدود اللعبة المتفق عليها وضمن أصولها في ما يخص الملف العراقي، خاصة بعد تمادي النظام الإيراني في محاولة قضم العراق لصالحه حصراً، واستبعاد شريكه الأميركي، وهنا برزت نقطة التقاطع بين شركاء الاحتلال، وزيارة ظريف إلى بغداد لا تعدو عن كونها محاولة لتجميع أتباع طهران في بغداد وحشدهم لرفعهم إلى اتخاذ موقف لصالح إيران بعيداً عن أميركا، وهي محاولة، إن نجحت، فسوف تنعكس نتائجها وبالأعلى على العراق وتكون ضد مصالحه، والمتوقع أن زيارة ظريف ستواجه الفشل، كون عملاء طهران لن يقفوا على الوقوف علناً ضد المصالح الاستراتيجية الأمريكية، فضلاً عن القيمة الكبيرة للعراق في المنظور الأميركي، ولهذا أرسل الإيرانيون وزير خارجيتهم لطبليو من الكاظمي إيصال رسالة سلام وتعاون إلى الأميركيين، من خلال زيارته المرتقبة إلى كل من الرياض وواشنطن، مع التأكيد له، في الوقت نفسه، أنهم الأقوى منه ومن أميركا في العراق وأن الهدوء في بغداد يمر من خلالها، ولكن بشروط منها، التعاون مع الإدارة الأمريكية ضد أعداء النظام الإيراني من المعارضة الداخلية والخارجية للنظام والانفتاح الاقتصادي عليها.

ختاماً فإن التوقعات جميعها تشير إلى أن محاولات إيران كلها للزلف إلى أميركا ستبوء بالفشل وأن إرادة أميركا هي التي ستحقق، فيما سبتقى إيران تنفخ في قربة مثقوبة وتذهب محاولاتها أدراج الرياح.

بلاده لن تقف مكتوفة الأيدي إزاء الضرر بمصالحها الحيوية. يدعم قولنا هذا ما رجحه المحلل والخبير السياسي، مجاهد الطائي، وهو أن حلفاء طهران في العراق، بثيرون الأزمات للحيلولة دون توقيع بغداد لاتفاق مع واشنطن، وتأكيد على توتر أن "حلفاء طهران يستعدون من الآن لتحشيد أنصارهم شعبيًا وميليشاويًا وسياسيًا لإسقاط حكومة الكاظمي". وفي هذا السياق، ذكرت صحيفة "مدارات الثورة"، الموجهة إلى ساحات التظاهر والاعتصام في بغداد، أن حكام إيران وجدوا في الكاظمي ضاللتهم، وصاروا يمررون سياساتهم ومصالحهم تحت غطاء معاداة لفظياً من قبل عملائهم وذيولهم في العراق، بل صاروا وبما عرفوا به من خبث وأزدواجية، يعمدون إلى توظيفه مراسلاً، ينقل رسائلهم ويتبنى مواقفهم مع من يتوهمون أنه يختلف عن غيره من سياسيي الغفلة وسلطة الخراب والمخربين.

كتب لي الدكتور ريمون جورج، سكرتير جمعية الصداقة العراقية الأمريكية، رسالة ذكر فيها أن العراق والولايات المتحدة الأمريكية على أبواب اللقاء الثاني للحوار الاستراتيجي المتوقع انعقاده، قريباً، على الرغم مما تشوبه المرحلة من غيوم قد يعقبها رعد، مشيراً إلى أن إدارة مصطفى الكاظمي تواجه ضغوطاً إيرانية من جانب الكتل والجهات الميليشياوية، التي أسهمت بحصوله على مهمة رئاسة الوزراء المؤقتة، وضغوطاً أخرى من جانب الولايات المتحدة، التي أعربت عن عدم ارتياحها من تصرفاته في تنفيذ قراراته الأخيرة، التي دلت على ضعف أدائه في قيادة المواجهة الفعلية لإرهاب الميليشيات وبطشها وأخرها اغتيال الخبير الأمني الدكتور هشام الهاشمي واستمرار الانتهاكات والاعتداءات على المتظاهرين السلميين بالرغم من عوده بالوقوف إلى جانب مطالب المتظاهرين. إن زيارة محمد جواد ظريف وزير خارجية النظام الإيراني إلى بغداد تهدف، أولاً وأخيراً، إلى الضغط على شخص الكاظمي لكي لا يمثل إلى الأجدد الأمريكية باتخاذ أي إجراءات

والاستقلال وأصبح السيد علي خامنئي ولي أمره، منذ أن ضحّ المالكي أموال العراق إلى خزينة طهران الخاوية (2006 - 2014).

إن زيارة وزير الخارجية الإيراني للعراق ستكون زيارة سياسية واقتصادية، فالمتوقع أن يحمل ظريف إلى رئيس الوزراء في بغداد رسالة موجهة إلى الإدارة الأميركية، ربما تنطوي على رغبة إيران بإجراء مفاوضات سرية مع ترامب بعد الضربات القاتلة، التي تلقتها طهران، كما تنطوي على ملف آخر قد يعبر عن انزعاج الملاي من الخطوات، التي بدأ يتخذها الكاظمي والموجهة ضد الميليشيات الفاسدة، والتي تنذر بقطع ما تجنيه إيران من خيرات العراق بفعل هذه الميليشيات، والتوقع الثالث أن ظريف سيطالب بدفع المستحقات المطلوبة من العراق ثمن الكهرباء والنظ المكر والغاز، لأن إيران بحاجة ماسة إلى السيولة النقدية، بالرغم من أن الوزير الإيراني سيظهر بأنه يؤيد الخطوات "الإصلاحية" للكاظمي، يعلق المنافذ الحدودية وعدم استيراد منتجات إيران، إلا أنه سيهدد من طرف خفي أن

الفقيه، فما يدفعه العراق لإيران سنويًا مقابل الكهرباء يعادل نصف ميزانية دولة الصومال.

زيارة وزير خارجية النظام الإيراني إلى بغداد تهدف، إلى الضغط على الكاظمي لكي لا يمثل إلى الأجدد الأمريكية باتخاذ أي إجراءات جذرية تكون سبباً في حرمان إيران من نفوذها في العراق

إن قادة الميليشيات هم الوكلاء الأقوياء لإيران في العراق، ولذلك فإن حكومة الكاظمي مجبرة على أن توقع على بياض كل ما يصدر منها، كما يقول دبلوماسي عراقي عمل في إيران، ويضيف: إن البلد منزوع الإرادة

هذا الموقف لم يكن مقتصرًا على المتظاهرين، بل إن جميع العراقيين يعتبرون أن هذه الزيارة تشي بخطر جديد على بلادهم، فانتشرت على وسائل التواصل الاجتماعي عبارة "لا أهلا ولا سهلا بك أيها العجمي غير الظريف على أرض عاصمتنا بغداد يوم الأحد".

الواقع، أن ما تحقق في عهد الكاظمي من اتفاقيات مع إيران ربما يكون أكثر مما تحقق في عهود سابقه، فقد أبرمت حكومته عقداً للنقل الخاص في مطار بغداد الدولي وسيكون السائقون كلهم من الحرس الثوري الإيراني، وأجرت اتفاقية قاهم حول منطقة مجنون وأبارها النفطية، بالرغم من أن الخبراء النفطيين كلهم يؤكدون عدم وجود أبار نفطية مشتركة، البتة بين العراق وإيران، أما على صعيد التدخل في الشأن الوطني، فإن طهران الآن تقيم داخل العراق ممثلة بجيشها (الحشد الشعبي)، ومنذ 2011 بعد هادي العامري ونوري المالكي وقالج الفياض وعادل عبدالمهدي مجلس أركانها في العراق، هذا بخلاف حصر الاستيراد للمواد الغذائية بإيران، واستمرار تدفق المليارات على ولاية

د. باهرة الشيلخي
كاتبة عراقية

منذ إعلان طهران أن وزير خارجيتها، محمد جواد ظريف، سيزور بغداد، حتى ضحّ الشارع العراقي بعدم الترحيب بهذه الزيارة وبالضيف المفروض.

تزامن زيارة ظريف، التي أعلنت طهران أنها ستتركز على "بحث الملفات المشتركة وأزمة كورونا"، وأنه "سيلتقي الرؤساء الثالث والقيادات السياسية، مع الزيارة، التي سيقوم بها رئيس الوزراء في العراق مصطفى الكاظمي إلى المملكة العربية السعودية"، ما دعا باحثين وخبراء سياسيين إلى الإعراب عن اعتقادهم أن المهمة الخفية للزيارة هي الضغط على الكاظمي للتوسط بينها وبين الرياض ومحاوله إقناع القيادة السعودية بالعمل على الطلب من أميركا تخفيف الضغط الخاق على طهران، التي تعاني من أزمات كانت ستكون أكثر تأثيراً عليها لولا المليارات العراقية، التي تدفق عليها بمساعدة وكلائها وجيشها (الحشد الشعبي) في العراق، وبأكثر من أسلوب وطريقة.

أبدى اتحاد تنسيقيات الثورة العراقية امتعاضه ورفضه للزيارة، التي سيقوم بها ظريف للعراق، وأصدر منتظاهرو وفوار ساحات الاعتصام في بغداد والمحافظات بياناً عدواً فيه هذه الزيارة تدخلا شاملاً في الشؤون الداخلية العراقية، وقال البيان صراحة "لا أهلا ولا سهلا بمن لا يمكن للعراق أن يحصل منهم على فائدة غير تصدير الفتن والمؤامرات الخبيثة والسعي إلى تدمير العراق وإفراغه وإنهاكته". دعا المتظاهرون والمعتمضون، الحكومة العراقية إلى مطالبة الإيرانيين "باحترام حقوق الجيرة واحترام العراق والعراقيين وسحب أياديهم القذرة من العراق وإعادة حقوق العراق وممتلكاته المسروقة عندهم وإطلاق سراح المعتقلين والمختطفين العراقيين في سجونهم وإطلاق سراح كل أسرائنا الموجودين لديهم، منذ عشرات السنين والمسجلة أسماؤهم في الصليب الأحمر الدولي"، وفقاً لنص البيان.

